

الشمال النبوية في الشعر العربي الباكستاني

حامد أشرف همداني *

فإن موضوع "الشمال" موضوع عظيم و باب من أشرف أبواب العلم وأجلها، ألا وهو: شمال نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وخصاله المنيفة، وصفاته الشريفة، وأخلاقه الرفيعة، وآدابه الكريمة، ومعاملاته الطيبة الحسنة، صلوات الله وسلامه عليه.

فهو باب يحوي شمال أفضل عباد الله وأحبهم إلى الله جل وعلا، خليل الله ومصطفاه ومجتاباه، أكمل عباد الله عبادة وأزكاهم خلقاً، وأطيبهم نفساً، وأحسنهم معاملة، وأعظمهم معرفة بالله سبحانه وتعالى وتحقيقاً لعبوديته؛ اصطفاه الله جل وعلا ليكون سفيراً بينه وبين عباده، وواسطةً بينه وبين الناس في الدلالة على الخير والدعوة إلى الهدى، واختاره - على علم - من أفضل وأعرق البشرية نسباً، وخصه بأكمل صفات البشر من حيث الخلق والخلق، وخصه بأجمل الصفات في هيئته البهية، وطلعته الجميلة، ومُحيّاه المشرق، وصفاته العالية الرفيعة صلوات الله وسلامه عليه، وخصه بأكمل الخلال وأجمل الأخلاق وأطيب الآداب، وجعله سبحانه وتعالى أسوة للعالمين وقُدوة لعباد الله أجمعين، قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١)؛ وهذه الآية كما قال الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله". (٢)

ومن المعلوم أن التأسي به صلى الله عليه وسلم والاقتداء فرع عن العلم بشماله وخصاله وخلاله؛ إذ لا يتأتى اقتداء به، ولا اتباع لنهجه، ولا لزوم لهديه إلا بمعرفة سيرته وشماله وخصاله وخلاله العظيمة صلى الله عليه وسلم. و "الشمال": المراد بها خصال الإنسان، وأوصافه، وخلاله، وأخلاقه، وآدابه ونحو ذلك، يقال: فلان حسن الشمال، أي حسن الأخلاق، ويقال: كريم الشمال، أي كريم الأخلاق، ولهذا سُمي الإمام الترمذي رحمه الله وغيره من أهل العلم أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه وما يتعلق به بـ "الشمال". (٣) فعلم الشمال: علم يختص بذات النبي صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وآدابه وبعض ما اتصل به، وإن موضوع الشمال النبوية هو: السمات والخصال والأخلاق التي عُرف بها رسولنا صلى الله عليه وسلم.

و منذ فجر التاريخ أحسن الإنسان بالفوارق الاجتماعية بينه وبين أخيه الإنسان، و شعر باختلاف المواهب والقيم عند الناس، ورأى الأقدار تضع و ترفع، وتعطي و تمنع، لذلك سعى إلى رضا من هم فوقه، و تحمل حيالهم بالقول، فوقف منهم موقف الاحترام والتودد. فكانت أقواله تعبر عن المديح، سواء أكان هذا المديح صادراً عن قرارة نفسه أم من أطراف لسانه، فهو يقرّ بالرياسة والزعامة، لمن يتصور أنهم سبقوه بالغنى والشجاعة والكرم والقوة والفهم والذكاء، فهو يشترك مع الناس جميعاً في النظر إلى الزعيم والقائد والوجيه والعالم والغني والسيد والأمير نظرة خاصة. ويشترك معهم كذلك في مديح هؤلاء، حين يعرض له القول أو يتصدى الحديث والبيان شعراً ونثراً (٤).

فكذلك تعود العرب منذ العصر الجاهلي أن ينوّهوا في أشعارهم بأشرفهم من الكرم والشجاعة والحلم

والوفاء وحماية الجار، وكان لا يعد السيد فيهم كاملاً إلا إذا تغني بنباهته و مناقبه (٥).

والمديح باعتباره غرضاً من أغراض الشعر، شاع في نتاج كثير من الشعراء العرب، منذ العصر الجاهلي حينما أعجب شعراء الجاهلية بالرجال المتفوقين من الملوك والوزراء والوجهاء والأغنياء من حيث الخلق والرأي والشجاعة والكرم والجود، فحزكوا ألسنتهم بالثناء والإعجاب، وامتدحوا المثل العليا التي رأوها عندهم. ومن المعروف أن العرب كانوا يعيشون في أطراف الأرض على نظام عجيب، و أسلوب غريب، لا تجمعهم دولة، ولا يلمهم سلطان، ولا ينظمهم قانون واحد، كأنها تنتظر زعيماً يجمع شملها، وقائداً يفيد من شجاعته، وإماماً يوحد بين آرائها. فلما ظهر محمد صلى الله عليه وسلم في قريش، ودعا إلى وحدة العرب واتحادهم، و اجتماعهم تحت دين واحد ورؤية واحدة، لينقذهم من فوضى تشل حياتهم و حروب تستنزف قواهم، فهزت دعوته القبائل ورؤساءها، وبلغت الممالك المجاورة وملوكها، فوقفت بين مصدقة ومكذبة، حتى إذا بلغها ما كان عليه هذا الرسول صلى الله عليه وسلم من تعلق بالحق والوفاء والقناعة والتواضع، ومن مقدرة في البلاغة والفصاحة والبيان والسياسة، ومن مكانة في الشجاعة وقيادة الجيوش هالها أمره، و أدخلها خطره، فانصرف بعضهم إليه، وبعضهم عنه، فوقف له شعراء يتصدون للهجاء عليه، كما وقف معه آخرون يجدون في الدفاع عنه و امتداحه.

وقد كان هذا المديح أول الأمر يقتصر على امتداح خصاله وشماله و رسالته وهو حي، فلما قضى انصرف الشعراء إلى الثناء عليه و تعداد صفاته والإشادة بالإسلام. و نحن، إنما نعد هذا من المديح، لأنه يتوجه بكلامه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كأنه موجود حي، يناديه و يناجيه، فيسمعه و يلبيه (٦).
فحصيلته الكلام السالف، أن المدح هو بيان الشمال الطيبة والصفات الجميلة التي يكون الممدوح متصفاً به، سواء كان يصدر عن قرارة نفسه، أو من أطراف لسانه. و دوافعه التقدير لشخصية الممدوح، أو الإعجاب بفضائله وشماله وخصاله، أو الطموح إلى نيل عطائه.

و المدائح النبوية من فنون الشعر، وهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع، لأنها لاتصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص، ولا يراد بالمدائح النبوية إلا التقرب إلى الله، لنشر محاسن الدين، والثناء على شمائل الرسول. وكذلك أكثر المدائح النبوية قيل بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما يقال بعد الوفاة يسمى رثاء، ولكنه في الرسول صلى الله عليه وسلم يسمى مدحاً، كأنهم لحظوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم موصول الحياة، وأنهم يخاطبونه كما يخاطبون الأحياء (٧).

ثم إن مدح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من المواضيع التي لا نهاية لها "فالموضوع واحد ولكن الحديث لا ينفد لأن شخصيته عليه السلام أعظم من أن تحيط بها دراسة أو يستغرق القول فيها وصف. وأما دارس أو واصف يظن أن قد ظفر منها بكل شيء أو قال فيها كل ما يحمد أن يقال ولم يبق لغيره إلا الإعادة والتكرار فهو ولا شك مخدوع يخيل إليه بعض الشيء كله، فلم يظفر في الحقيقة إلا بما قسم له، ولم يقل إلا ما قدر له أن يقول، بقي لغيره ما قسم له من ظفر وما قدر له من قول وليس لهذا وذاك نفاد ولا انقطاع على مر الزمان" (٨).

ولذلك ظفر شعراء باكستان بحظ وافر من المديح النبوي بما فيه من بيان الشمال النبوية فهو أكثر الأغراض الشعرية شيوعاً عند شعراء العربية في باكستان، فما من شاعر إلا وقد تطرق هذا الباب ونظم الشعر بهذا الصدد، ومن أشهر شعراء المديح النبوي في باكستان عبدالسلام سليم الهزاروي، ونقيب أحمد الديروي، وأصغر علي

الروحي، وفيوض الرحمن العثماني، ومولانا محمد إدريس الكاندهلوي، ومولانا ظفر أحمد عثمان، ومولانا عبدالمنان الدهلوي، والمفتي محمد شفيع، ومولانا محمد يوسف البنوري، والمفتي جميل أحمد التهانوي، والشيخ لطافت الرحمن السواتي، والدكتور محمد جميل قلندر، والدكتور ظهور أحمد أظهر، والحافظ محمد أفضل فقير، والقاضي محمد عبد الرحمن الكاملفوري، ومحمد عالم القرشي، ومحمد إظهار الحق سهيل، ورحمت علي خان سامي، ومولانا محمد عبدالله الدرخواستي، والأستاذ محمد حسين إقبال، والمفتي رضاء الحق المرداني، وعبدالعزیز خالد، ومحمد أمين نقوي، والسيد نصير الدين نصير، والميرزا آصف رسول. (٩)

أما المعاني التي يتناولها المديح النبوي عند شعراء العربية في باكستان فمن أهمها:

١. ذكر شمائل النبي صلى الله عليه وسلم و أوصافه

قد كان بيان أوصاف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وشمائله أحب المواضيع إلى المادحين في كل عصر، ويمكن أن نقسم أوصافه وشمائله عليه الصلاة والسلام إلى أقسام ثلاثة:

أ- الأوصاف الخلقية

ب- الأوصاف الخلقية

ج- الأوصاف النبوية

ولقد تناول شعراء باكستان شمائل النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الأقسام الثلاثة في شعرهم، فهذا الشيخ عبدالمنان الدهلوي يذكر أوصافه الخلقية ويعدّد شمائله الطيبة:

جبينه مطلع الأنوار مشرقة	فالشمس آفلة والبدر محتجل
ووجهه كطلوع الصبح منفلقاً	فالأرض نائرة والقاع والقلل
وحسن مبسمه الوضاء مبتسماً	كفتق زهر وعين زانخا كحل
ونظرة شفت المرضي وغرته	تروي الغليل ولا ماء ولا بلل
وجعده العطر المعطار نفحته	كما النسيم يصبح هب يرتفل
وثغره الرائق البسام منفلقاً	ومن ثناياه نور وصفه غزل
سواد شعر بياض الخد يغطه	في حلة وثياب دوغما الحلل
له جمال إذا مازاره أحد	يقول سبحان ربي هل له بدل (١٠)

ويقول محمد يوسف البنوري في ذكر جماله وحسنه:

ألقى عليك شمائلًا من حسنه	في عقد درّ يعجب الأنظارا
هو أدعج كحل العيون وأبلج	أقنى أنج وأهدب أشفارا
هو لم يكن بمطهم ومكلثم	حسن الحيا في الأسالة دارا
طلق الجبين إذا تبسم ضاحكاً	فاقت أسارير الجمال نضارا
فجبينه كالبدر يشرف دلجة	قد فاق بدرًا وجهه إذ نارا
وتشعشعت أنواره بجبينه	متهلل سيماءه أنوارا (١١)

ويقول أصغر علي الروحي في بيان أوصافه النبوية:

فتهدينا صراطاً مستقيماً

وتكشف عن خبيئات المعاني

ويقول الشيخ ظفر أحمد العثماني في بيان أوصافه الخلقية:

أوتيت علماً وحلماً زانه خلق

جوداً يعم الورى نيلاً ومرحمة

أمانة صلة للرحم مكرمة

بلاغة أخلجت من رامها ورمت

وقال عبد المنان الدهلوي بهذا الصدد:

محمد صاحب الايات معجزة

عفو وسمح واغضاء ومرحمة

مأوى الضعاف ملاذ الخلق قاطبة

برّ رء وف بمن خفت أواصره

ولا يميل إلى مال ولا سبب

وقال عبدالسلام سليم الهزاروي في بيان أوصافه النبوية:

وهوالنبي الهاشمي المصطفى

خير الخلائق كنز أسرار الملاء

عزّ المراتب والمكارم والعلی

ويقول لطافت الرحمن السواني بهذا الصدد:

الله أرسله بالحق مؤمناً

دعا إلى الله فالمستمسكون به

أوحى إليه إله العرش جاء به

فبلغ الناس أن الله بهم

محمد سيد الكونين والثقلين

قد أوتي الخلق الأسنى ونورهدى

٢- أسماء النبي صلى الله عليه وسلم

للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة، استخرجها العلماء، وشرحوا معانيها، وما تدل عليه، وقد ثبت في الصحيحين عن محمد بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشير الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا

الْعَاقِبُ(١٧).

وفي حديث آخر في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسَمِّي لَنَا نَفْسَهُ أَسْمَاءً، فَقَالَ: (أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ، وَالْمُقَقَّى، وَالْحَاشِرُ، وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ)(١٨).

وقد صنف العلماء في جمع أسماء نبي الإسلام مصنفات كثيرة، تزيد على الأربعة عشر مصنفاً، وهي: لابن دحية، والقرطبي، والرصاص، والسخاوي، والسيوطي، وابن فارس، والجزولي، ويوسف النبهاني، وغيرهم منها: "الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليفة" للسيوطي.

ولذا نجد كثيراً من شعراء باكستان ينظم أسماء النبي صلى الله عليه وسلم في مدائحهم، وقد نظم الشيخ محمد موسى خان قصيدة كاملة في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وسماها القصيدة الحسنى في أسماء النبي العظمى، ومن أبياته في تلك القصيدة الشهيرة:

محمد النقي القلب حياً	وميتاً فهو أركى الطاهرينا
هو المدثر المذكي خلُقاً	هو المزمّل المقري سنينا
رفيق منة الله حريض	عليكم أيها المستسلمونا
فصيح دهم ورع عفيف	وسيد ولد آدم أجمعينا
جواد صاحب الدرجات بر	دليل الطالبين الحائرنا
عطوف سيد الثقلين راج	ورحب الكف للمسترفدنا
نبي الراحة الدومي فطوي	لمن لبوا وتابوا مصلحنا
مقبل مغنم عبد صبور	وإن الله عند الصابرنا
جليل جهضم ذوالسيف ندب	ضياء دامغ المستكلبنا
وكاف مكتف قطب همام	ومكفي ولي الصالحنا
مهيمننا ومصلحنا شفيق	مقيم السنة الغراء فينا
وخاتم أنبياء الله طراً	وخاتمهم فتب المنكرونا (١٩)

وأشار أمين علي نقوي إلى كثير من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم وأوصافه في قصيدته المدحية، ونورد فيما يلي بعض أبياته:

سلام الله رب العلمينا	على محبوبنا نور الميينا
محمد وأحمدنا بربر	شفيع ناصر للخاطئينا
وداع قاسم مهد رسول	وهاد وهوماحي الكافرينا
ومختار خليل أبطحي	رشيد خاتم للمرسلينا
شهيد عادل فتاح عضل	مطيع الحق مهدي الصادقينا
عزيز فاتح يسين طه	رحيم حاشر في يوم ديننا

قريشي حجازي نبي
إمام عاقب حق خطيب
وعربي وأمّي كلّم
وكاف عالم ناه يقينا (٢٠)

٣- فضائل النبي صلى الله عليه وسلم

نبينا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء ، بل أفضل الأولين والآخرين ، وسيد ولد آدم أجمعين. عن أبي هريرة، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ) (٢١).

وروى الترمذي وحسنه ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ ، وَبِيَدِي لَوَاءُ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمُنَا آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلَّا تَحْتَ لَوَائِي ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ) (٢٢). وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (فَضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسَبْتٍ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّغْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ طَهْرًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ) (٢٣).

وقد ثبتت له صلى الله عليه وسلم فضائل فوق هذه الست : كالشفاعة العظمى ، وكونه أول من يفتح له باب الجنة ، وكونه أكثر الأنبياء تابعا ، وأن أمته ثلثا أهل الجنة ، وأنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة ، وصاحب الحوض ، وصاحب الوسيلة وهي درجة في الجنة لا تكون إلا له صلى الله عليه وسلم ، وهو إمام النبيين وخطيبهم يوم القيامة ، إلى غير ذلك.

قال الملا علي القاري : "فبعض الأحاديث ، وإن دل بمنطوقه على أنه - صلى الله عليه وسلم - مخصوص من عند الله ، تعالى بفضائل معدودة ، لكن لا يدل مفهومه على حصر فضائله فيها ، فإن فضائله غير منحصرة" (٢٤).

ولقد تناول شعراء العربية في باكستان فضائل النبي صلى الله عليه وسلم في شعرهم فهذا أصغر على الروحي يقول:

سموت إلى المكارم والمعالي
سبقت وقد تلاك الأنبياء
وقد كنت اقتديت بهم جميعاً
فتسبقهم جميعاً لامراء (٢٥)

ويقول محمد إدريس الكاندهلوي بهذا الصدد:

ولم يدن رب العرش غير نبينا
وفارقه الروح الأمين بسدره
وودّعه جبريل إذ جاء رفر
ومن بعده قد زج في النور زجة
وما ذاك إلا غاية لكرامة
وفي ذاك إيماء لختم النبوة
كقبل ارتداد الطرف إحضار
إلى العرش تفضيلاً لأفضل أفضل
وقال له هذا نهاية منزلي
تدلّي له مثل المنصة من عل
وأضحى إلى مولاه يسمو ويعتلي
وهل بعد هذا من مقام مفضل
وهذا لأن العرش آخر منزل
لقد جاء منصوباً بذكر منزل (٢٦)

ويقول ظفر أحمد العثماني:

محمد خاتم النبأ سيدهم
أتقى الأنام وأزكاهم وأعلمهم
زأكي النجار جميل الوجه أنوره
حامي الحقيقة مفتاح لمنغلق
بالله أحلمهم في الرثق والفتق
يمحو الظلام كبدر تمّ في الأفق (٢٧)

ويقول جميل أحمد التهانوي في بيان منزلته السامية ومكانته الراقية:

الأولون والآخرين علومهم
إذ رحمة للعالمين ظهوره
فالكل فيأمن به أن يخسفا
تنشق أرض الحشر عمّن تحتها
إذ يحشر الناس الجميع بمحشر
المرسلون جميعهم في مفرع
وله "الوسيلة والفضيلة" منحة
ييمين عرش الله حين حسابهم
في علمه مجموعة سحاء
لم يحرم الثقّلان والأشياء
أويهلكوا ويكون الاستقصاء
هو أول ممن لهم إحياء
بيمينه للحمد فيه لواء
تحت اللّواء له لهم إيواء
ومقامه الممود فيه ثواء
والناس في فرق لهم غوغاء (٢٨)

ويقول محمد موسى خان الروحاني ينّدد بمن ادعى النبوة بعده:

وخاتم أنبياء الله طرا
فلا يرجو النبوة بعد هذا
فلعنة رنأ أعداد رمل
وخاتمهم فتب المنكرونا
سوى من كان دجالاً لعينا
على الأتباع والمتنبئينا (٢٩)

٤ - بيان معجزاته

معجزات النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة ، وقد جاوزت الألف ، كما صرح بذلك العلامة ابن القيم رحمه الله في "إغاثة اللهفان" (٣٠)، وهذه المعجزات منها ما حصل وانتهى، ومنها ما هو باق إلى أن يشاء الله تعالى ، وهو المعجزة العظمى، والآية الكبرى على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي القرآن العظيم ، الآية الباقية الدائمة التي لا يطرأ عليها التغيير والتبديل.

وأما المعجزات التي حصلت وانتهت فهي كثيرة ومن أشهرها:

معجزة الإسراء والمعراج، ومعجزة انشقاق القمر، وتكثير القليل من الطعام بين يديه صلى الله عليه وسلم حتى كان يأكل منه من معه من الجيش، وتبقى منه بقية، ونبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وتكثير الماء حتى يشرب منه جميع الجيش ويتوضؤون، وإخباره صلى الله عليه وسلم بالأمور الغيبية المستقبلية ثم تقع كما أخبر، وحنين الجذع إليه لما فارقه إلى المنبر، تسليم الحجر عليه وهو في مكة، وإبراء المرضى.

والمعجزات كما قلنا كثيرة وهذا طرف منها، وقد ألف العلماء في جمع معجزات النبي صلى الله عليه وسلم مؤلفات عديدة كدلائل النبوة للبيهقي، وأعلام النبوة للماوردي، وكتب العقيدة مملوءة بذكرها في مبحث الإيمان بالرسول. ولذا نجد شعراء العربية في باكستان يشيدون بذكر تلك المعجزات في قصائدهم في المديح النبوي. فهأهو عبد السلام سليم يقول في بيان معجزات تسبيح الحجر بيده وحنين الجذع وانشقاق القمر:

قد سبَّح الحجر القاسي براحته والجذع حنّ وبدر الأفق منقسم. (٣١)

ويقول ظفر أحمد العثماني بهذا الصدد:

زال الظلام ولاح النور في الأفق
برق من الطور؟ أو بدر على جبل
يا صبع من يد كانت إشارتها

ويقول محمد يوسف البنوري في ذكر الخوارق قبل مولده:

والله ينعتة في نظم معجزة
له الخوارق تترى قبل مولده

ويقول محمد أمين نقوى في ذكر بعض معجزاته:

جانب القمر رفعت الأصبع
بين جزء به جبالاً نظروا
رجعت الشمس على إيمائه
معجزات المصطفى قد أعجزت

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عروجه إلى السماء. وقد تناولها كثير من شعراء العربية في باكستان.

فهذا الشيخ أصغر على روى يقول:

لقد عرج الإله بك اصطفاء
فهذا الحق لا يخفى ولكن

وقد خص الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي قصيدة تناول فيها إسرائ النبي صلى الله عليه وسلم حيث يقول:

ألا ليت شعري هل يقولن مقولي
فسجان من أسرى بليل بعبده
تمطى براقاً خطوه مدطرفه
وصادف فيها الأنبياء ينظرونه
فلاح كبدر في الكواكب كامل
وقال له الروح الأمين تقدم
فأنت إمام الأنبياء وخطيبهم

ويقول ظفر أحمد العثماني بهذا الصدد:

قد خصك الله بالإسراء ليلة إذ
حتى بلغت من العلياء ذروتها

ترقى السموات من طبق إلى طبق
وغاية لم تدع شأواً لمستبق (٣٧)

ويقول عبدالمنان الدهلوي في نفس الغرض:

في ليلة برقت بالنور ساطعة

فاقت ليالي ميزانٍ و مرتبة

كقصاب قوسين أو أدنى دنا ودنا

ويقول محمد أفضل فقير في صعوده إلى السماء:

حوى كل تعظيم العظام صعوده

يرافقه صدقاً فألقى بسدره

ويقول المفتي جميل أحمد التهانوي بهذا الصدد:

من أرض مكة نحو أقصى ثم

للعالم الأعلى ومن سكن العلى

ويقول رضاء الحق في نفس الغرض:

دعاه إله العالمين بليلة

تفضل جمع الأنبياء بمقدس

٥- شفاعته

إن سيدنا محمداً عليه الصلاة والسلام هو خير البرية جميعاً، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين، وينجي الله الناس من العذاب بشفاعته يوم القيامة، حيث إن لكل نبي من الأنبياء دعوة فتعجل كل نبي دعوته إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث اختبأها شفاعته لأمته يوم القيامة. فَعَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلْ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا) (٤٢). وإن هذا الموقف من رسول الله عليه الصلاة والسلام يدل على عدة أمور من أبرزها: رحمته وحبّه لأمتّه، وتقديمه لمصلحة أمتّه على مصلحته الشخصية فهو على يقين من إجابة هذا الدعاء لوعده الله له بذلك مسبقاً كما جاء في نص الحديث، ولكنه تركه ليوم العرض على الخالق عز وجل حيث تكون الحاجة للإجابة أشد وأبلغ منها في الحياة الدنيا، وقد استأثر بالدعاء لأمتّه بدل أن يدعو لنفسه في ذلك اليوم العصيب الذي لا ينفع فيه المال ولا البنون، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ . إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٤٣).

وإن كتب الشمائل النبوية حافلة بسرد أحاديث شفاعته نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وتأثراً بذلك أشار أغلب الشعراء الباكستانيين بالعربية إلى شفاعته صلى الله عليه وسلم يوم القيامة في شعرهم ومنهم عبدالسلام سليم حيث يقول:

في هذه وغداً إذ احشرت أumm

وكيف أعرض عمن عمّ

فكيف أترك من أرجوه شفقتة

وكيف أسخط من عمّت عنايتهم

ويقول نقيب أحمد الديروي:

وأنت شفيع الناس هاد لجمعهم وهدياً وسمتاً أنت أعلى وأنجب

يريد ويرجو قطرة من بحاركم
ويقول فيوض الرحمن العثماني بهذا الصدد:
قد كنت في ليلتي أرعى كو أكبها
نوديت ياهائماً في الحب منجدلاً
محمد هاشمي شافع لهم
والتأس في حرج والجمع في حب
ويقول رضاء الحق المرذاني:
هو الشافع الهادي طيب قلوبنا
شفيع الورى يوم القيامة محسن
نقيب حزين هائم وهو مذنب (٤٥)
كأنها في الدلجى درّ على حلل
أكثر صلوة على من ساد في الرسل
حيث انتفى النصر والإقدام في زل
والعين شاخصة والقلب في وجل (٤٦)
مديح إله العالمين نسيب
على العالمين وذا المقام عصيب (٤٧)

٦- الحنين إلى المدينة النبوية والشوق إلى زيارة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
الشوق إلى زيارة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في المنام و الحنين إلى المدينة المنورة من أهم الأغراض الشعرية في باب المدائح النبوية عبر العصور ، و تتجلى هذه المعاني عند شعراء باكستان أيضاً.
ويقول عبدالسلام سليم الهزاروي:

وإني لعمري دائماً متأسف
إلهي ومنّاني وربّي وموئلي
أيا أسفاً ألفاً على فقد راحة
أجب دعوتي يا من تحب دعائنا
هذا السليم أذلّ خلقك راحمي
ويقول عبدالمنان الدهلوي:

وللمدينة أنوار مشاهدة
مناظر وقرار الهائمين بها
أبولبا به مكبول بسارية
وذاك منبره يرقى لخطبته
شوقاً إليه وما أسرفت حين جرئ
لقد رأيت تراباً مسّ حجّته
ويقول محمد شافع رحمه الله:

واها لطيبة، مازالت منورة
من للشفيع بأسحارها سلفت
طابت مشارقها من طيب رايها
وعيشة في حوالها تملأها (٥٠)

وبعد عرض هذه النماذج من الشعر العربي الباكستاني في الشمال النبوية يظهر لنا أن شعراء باكستان يهتمون

باستخدام الألفاظ والعبارات ذات الصبغة العلمية اهتماماً بالغاً، لأن هؤلاء الشعراء كانوا بارعين في العلوم والفنون، فظهرت آثار ثقافتهم في أبياتهم، حيث كانوا في كثير من الأحيان يتكلفون في اختيار الألفاظ لنظم الشعر الذي قد يضعف صور أبياتهم و موسيقاها.

هؤلاء الشعراء يضعون في أذهانهم فكرة خاصة، أو سمة أدبية، أو ظاهرة بلاغية، ثم يذهبون إلى نظم الأبيات ويراعون فيها الظواهر المذكورة. ولهذا السبب نرى أسلوب هؤلاء الشعراء حافلاً بالظواهر الآتية:

١- الاقتباس والتلميح والتضمين.

أ- الاقتباس من الآيات القرآنية.

ب- التلميح إلى الأحاديث النبوية الشريفة.

ج- التضمين من الأشعار العربية

٢- الإشارات التاريخية

٣- استخدام الألوان البلاغية

أما الموسيقى الشعرية أو الأوزان فرى أن معظم الأعمال الشعرية عند شعراء باكستان كانت في الأوزان الكثيرة التفاعيل. أما الأوزان القصيرة فلم نجد لها حظاً وافراً في إنتاج هؤلاء الشعراء. فهنا توافق بينهم وبين شعراء العرب القدماء في عدم استخدام الأوزان القصيرة في معظم إنتاجهم الشعري.

أما بناء القصيدة وشكلها فقد تأثر شعراء باكستان ببعض الأساليب من شعراء العرب القدماء بالنسبة لبنية القصيدة وشكلها، فيستهلون قصائدهم بالوقوف على الأطلال أو البكاء لذكريات الحبيبة، وقد جاء معظم إنتاج شعراء باكستان على هذا النمط. وقد اطلعنا على بعض القصائد العربية لشعراء باكستان، والتي نسجت على منوال شعراء العصر العباسي، بدون أي تمهيد، يهدفون مباشرة إلى المقصود الأصلي منذ بداية القصيدة كما قال رحت علي خان سامي في مطلع قصيدته المدحية:

لقد منّ الإله على الأنام	فأرسل هادياً ذا الاحترام
نبياً خير خلق الله طرا	رسولاً خاتم الرسل العظام
محمد الذي ترجى شفاعته	لأمته غداً يوم القيام
هدى للعلمين بنور وجهه	وبالآيات والحجج الكرام
أضاء الأرض بالنور الإلهي	وأرشداهم إلى دار السلام
لأن الله أرسله سراجاً	منيراً ماحياً دهم الظلام
إليهم بالكتاب المستنير	بنور الحق كالبدنر التمام (٥١)

وقد سلك هذا المسلك الشيخ محمد إظهار الحق سهيل حيث يقول:

أرسلت فينامن رسول هاشمي	خير البرية كلها بكمال
والله أين البدن من وجه النبي	في قرة ونضارة وجمال
عرق كريحان الفراديس العلى	والله أين المسك مسك غزال
صلوا عليه وسلموا تسليماً	إن الصلوة عليه عين جمال

وعلى خديجة أمتنا متوال	صلي الإله على النبي وآله
سادات أهل الخلد خير عيال	وعلى حسين سبطه وعلى الحسن
وعلى رفيق القبر بعد وصال	وعلى رفيق الغار خير صحابة
صهر الرسول وصاحب الإجلال	عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
وعلى أخيه البطل سيد آل	وعلى الخليفة صاحب النورين
وعلى بني الأعمام والأخوال	وعلى الصحابة كلهم والتابعين
وعلى من اتبع الهدى بحصال (٥٢)	صلي الإله على النبي المجتبي

الهوامش

- (١) الأحزاب: ٢١
- (٢) ابن كثير إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ، ج ٦، ص ٣٥٠
- (٣) عبدالرزاق بن عبدالمحسن البدر: شرح شمائل النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، بدون سنة النشر ومكانه، ص ٧-٨
- (٤) سامي الدهان: المديح من فنون الأدب العربي، دار المعارف القاهرة (بدون التاريخ) ص ٧
- (٥) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، دار المعارف مصر، ١٩٦٣م، ص ٢١٥.
- (٦) سامي الدهان: المديح من فنون الأدب العربي، ص ٧٠-٧١
- (٧) زكي مبارك: المذائع النبوية، مطبع الشعب القاهرة (بدون التاريخ) ص ١٤
- (٨) ناصف، على النجدي: الدين والأخلاق في شعر شوقي، مطبعة كوستاتسوماس، ١٩٤٨م، ص ١١٦
- (٩) للاطلاع على قصائدهم في المديح النبوي يرجى الرجوع الى الشعر العربي في باكستان (رسالة الدكتوراة للباحث نفسه، قسم اللغة العربية، جامعة بنجاب، لاهور، باكستان ٢٠٠٧م) وشعراء العربية في باكستان، للباحث نفسه، جامعة بنجاب، قسم التأليف والترجمة، ٢٠١١م.
- (١٠) مجلة الرشيد: (العدد الخاص بالمديح النبوي)، كراتشي، باكستان، ص ٢٤٩ - ٢٥٠
- (١١) مختار، محمد حبيب الله. القصائد البنورية. كراتشي: المكتبة البنورية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٧٨
- (١٢) الروحي: أصغر علي. الديوان. تحقيق: الدكتور رانا ذوالفقار علي، تقديم: الدكتور ظهور أحمد أظهر، لاهور: مجلة المجمع العربي الباكستاني، المجلد الأول، العدد الثالث، ص ٥٧
- (١٣) مجلة الرشيد: ص ٢٣٣ - ٢٣٤
- (١٤) مجلة أنوار مدينة، المجلد ١، العدد ١ (ربيع الثاني ١٤١٣هـ / أكتوبر ١٩٩٢م) ص ٥٥

- (١٥) فيوض الرحمن ، الدكتور: معاصرين إقبال. لاهور: نيشنل بک سروس، (بدون التاريخ)، ص ٦٣٩، و عبدالله، محمود محمد: اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً . الطبعة الأولى. باكستان: وزارة التعليم الفيدرالية، شعبان ١٤٠٤هـ / مايو ١٩٨٤م، ص ٤٥٤
- (١٦) مجلة بينات، المجلد ٣٥، العدد ٥ (ذوالقعدة ١٣٩٩هـ / أكتوبر ١٩٧٩م) ص ٥٦-٥٧
- (١٧) البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، باب ماجاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، برقم ٣٥٣٢
- (١٨) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، برقم ٢٣٥٥
- (١٩) مجلة الرشيد، ص ص ٣٦٠-٣٦١
- (٢٠) نقوي، محمد أمين علي: قصيده أمينية. الطبعة الأولى. فيصل آباد: جشني كتب خان، رجب ١٣٨٤هـ، ص ٢٤-٢٧
- (٢١) مسلم بن الحجاج، الصحيح، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، برقم ٢٢٧٨
- (٢٢) الترمذي، محمد بن عيسى: سنن الترمذي، برقم ٣٦١٥
- (٢٣) مسلم بن الحجاج، الصحيح، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، برقم ٥٢٣
- (٢٤) القاري، علي بن سلطان: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، ج ٩، ص ٣٦٧٦
- (٢٥) روعي، أصغر علي: الديوان : ص ٤٥
- (٢٦) مجلة الرشيد : ص ٢٥٥
- (٢٧) مجلة الرشيد : ص ٢٣٢
- (٢٨) مجلة الرشيد : ١٣٧-١٣٨
- (٢٩) مجلة الرشيد : ٣٦١
- (٣٠) ابن قيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب: إغاثة اللهفان من مصادب الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف الرياض، ج ٢ ص ٦٩١
- (٣١) فيوض الرحمن، الدكتور : معاصرين إقبال، ص ٦٦٤
- (٣٢) مجلة الرشيد: (العدد الخاص بالمديح النبوي) ص ٢٣٢
- (٣٣) مختار، محمد حبيب الله: القصائد البنورية، ص ٦٥
- (٣٤) النقوي، محمد أمين علي: قصيدة أمينية، ص ٣٥
- (٣٥) الروحي، أصغر علي، الديوان، ص ٥٧

- (٣٦) مجلة الرشيد: ص ٢٥٣
- (٣٧) مجلة الرشيد: ص ٢٣٢
- (٣٨) مجلة الرشيد: ص ٢٥١
- (٣٩) مجلة الرشيد : ص ٢٢٧، و فقير، محمد أفضل: شآبيب الرحمة. تقديم : د. ظهور أحمد أظهر. لاهور: مكتبة كارواں، (بدون التاريخ)، ص ٥٩
- (٤٠) مجلة الرشيد : ص ١٣٧
- (٤١) المرداني، رضاء الحق المفتي. قرار دل. ترتيب وتعليق: مولانا عبدالباري. كراتشي: زمزم ببلشرز، (بدون التاريخ) ص ١٧١
- (٤٢) مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمتة، برقم ١٩٩
- (٤٣) الشعراء: ٨٨-٨٩
- (٤٤) مجلة الرشيد: ص ٢٩٨
- (٤٥) فيوض الرحمن ، الدكتور : مشاهير علماء ديوبند. لاهور: فرنتر ببلشرز، (بدون التاريخ)، ص ٢٧٣
- (٤٦) فيوض الرحمن ، الدكتور : مشاهير علماء ديوبند، ص ٣٧٦
- (٤٧) المرداني، رضاء الحق المفتي، قرار دل ، ص ١٧١
- (٤٨) فيوض الرحمن ، الدكتور : معاصرين إقبال ، ص ٦٦٥
- (٤٩) مجلة أنوار مدينة ، المجلد ١ ، العدد ٩، (ذوالحجة ١٣٩٠هـ / فبراير ١٩٧١م) ص ٢١
- (٥٠) محمد تقي العثماني في آخر كتاب ”الإزدياد السني على اليناع الجني للمفتي محمد شفيع“ كراتشي: إدارة المعارف، ص ٨٣، وشفيع محمد المفتي، نفحات في فضل اللغة العربية، كراتشي: إدارة المعارف، رجب ١٣٩٣هـ، ص ٣٣
- (٥١) مجلة الرشيد، ص ٢٨٨-٢٨٥.
- يقول الدكتور محمود محمد عبدالله بعد سرد بعض أبياته: ”من أول وهلة يعلم القارئ أن هذا الشعر ارتجالي وخال من الأحاسيس والعواطف الشعرية. ولا يحتاج إلى تفسير حيث إن كلماته ليس فيها أدنى غموض وهي واضحة كالشمس“. انظر: اللغة العربية في باكستان، ص ٤٤٠
- (٥٢) مجلة الرشيد، ص ٢٥٦

